عادات القرآن الكريم الأسلوبية في الإطناب

التذييل في الآيات القرآنية أنموذجًا

الأستاذ المساعد الدكتور/ محمود علي عثمان

Dr. Mahmoud Ali Othman Othman
Assistant Professor, Department of Quranic Studies, Faculty of Education,
King Faisal University

ملخص البحث:

هدف البحث دراسة عادة من عادات القرآن تعكس إعجازه البياني في أسلوبه، وهو الإطناب من خلال التذييل في الآيات القرآنية، فجاء البحث يكشف عن ظاهرة تمكُّنه الدلالي في سياقه، وتناسب أجزائه وتماسك بنائه، ولتحقيق هذا الهدف فقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي، بحيث يستقرئ التذييل القرآني ويصنِّفه ضمن حالات أربع، ومن ثَمَّ استنباط أسراره البلاغية ومظاهر تمكُّنه الدلالي في سياقه، ودوره في الكشف عن مقاصد القرآن وسوره. وقد خلصت الدراسة في نتائجها إلى أن التذييل القرآني مرتبط تمام الارتباط بالآية، ويتناسب مع الجملة السابقة عليه تناسبا راقيًا يجعل السابق يمهد للاحق واللاحق يؤكد على السابق في تناغمٍ واتساقٍ، لنخرج من كل ذلك بنظرية قرآنية وهي التمكُّن الدّلالي للتذييل القرآني في سياقه، وأن هذا التمكّن يرتبط بالعلاقات بين البُنى المتوالية للسياق بأكمله على وفق: مناسبة دلالة جملة التذييل لسياقها وسياق السورة العام الذي استدعاها ولمقصد السورة ومقاصد القرآن العامة، وهذه العلاقات مجتمعة مكَّنته دلاليًّا في سياقه، بحيث يؤدّي المعنى المراد بدقة ولا يغني غيرُه من جمل التذييل غناءَه. كما بينت الدراسة أن التذييل القرآني شكَّل دلالات رمزية تؤدي بدورها وظيفتين: وظيفة مترجِمة وكاشفة عن مقاصد القرآن وسوره، ووظيفة انفعالية تستثير نفسية السامع وتستحوذ عليه، وأوصت الدراسة بمواصلة رصد ظاهرة التمكُّن الدلالي للتذييل القرآني.

الكلمات المفتاحية: الإطناب، التذييل القرآني، التمكّن الدّلالي، عادات القرآن، مقاصد القرآن وسوره.

Abstract

Stylistic habits of the Quran in redundancy
The appendix in verses the Quran as model

The purpose of this research is to study the habits of the Quran, which reflect its rhetoric miracles in its style, which is the redundancy through the appendix in the Quranic verses, the research reveals the phenomenon of its semantic mastery in its context, the proportion of its parts and the cohesion of its structure, to achieve this aim, the researcher took the inductive, deductive and descriptive method to draw the Quranic appendix and categorize it into four cases, and then to deduce his rhetorical secrets and manifestations of his semantic mastery in his context and his role in uncovering the purposes of the Qur'an and its context, the study concludes that the Qur'anic appendix is closely linked to the verse and is consistent with the previous sentence, it is a fine fit, which makes the former pave the way for the right and the future, emphasizing the former in harmony and consistency, to come out of this is a Qur'anic theory, namely the semantic mastery to appendix the Quran to its context, the relationship between the successive structures of the entire context according to: the relevance of the statement of the appendix to its context and the context of the general surah, which called and the purpose of the Surah and the purposes of the Quran General, and these relations combined enabled in the context, so as to lead the meaning accurately and is not suitable for other synonyms to come in place, the study also showed that the appendix Quranic form semantics symbolic lead in turn two, the function of translated and revealing for the purposes of the Quran and surah, one emotional evoke psychological hearer attracted, and recommended the study continue to monitor the phenomenon of semantic mastery of appendix Quranic.

Keywords: Redundancy, the appendix in verses the Quran, The semantic mastery, the habits of the Quran, and the purposes of the Qur'an and its Surah's

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعدُ:

فقد نزل القرآن الكريم {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء: ١٩٥]، وخاطب العرب بأسلوبهم وطرائق تعبيرهم خطاب العارف الفَهِم لطرائقهم، وبلغ الغاية في جميع وجوهه ومنها الوجه اللغوي، فقد أُحكِم نظم القرآن واتَّسقت وتماسكت ألفاظه وآياته وتناسبت أجزاؤه، قال تعالى: {الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١]، ومن مظاهر اتساق النص القرآني التذييل في آياته.

ولما كان القرآن الكريم غنيًّا بالإعجاز البلاغي البياني عامة وبأسلوب التذييل خاصة غنى يستوقف النظر، ويلفت البصر، وكان هذا اللون من ألوان البيان القرآني له مكانته في القرآن ولدى علماء البلاغة والأدب، فقد سعت هذه الدراسة إلى بيان مظاهر التمكُّن والاتّساق الدلالي في جملة التذييل القرآني، وتماسك بنائها وتناسب أجزائها واتساقها مع السياق الواردة فيه، ودلالتها على مقصد السورة ومقاصد القرآن العامة، ليكشف التذييل بذلك عن دوره في تحقيق سبك واتساق النص القرآني، وعن كونه يمثِّل أحد عناصر التمكُّن الدلالي في النص القرآني، فالتذييل القرآني له قيمته في فهم المعنى وإتمامه وتأكيده واختزاله وجمال بيانه وروعة تصويره، ولذا يأتي التذييل القرآني مستقرًّا في قراره، ولا يغني غيرُه غناءه في موضعه، فهو مطمئن في موضعه، غيرَ نافر ولا قلق.

وقد جاءت هذه الدراسة لكشف كنز من كنوز القرآن الكريم المتعلقة بإعجازه اللغوي والبياني، وإلى أسلوب من الأساليب المعجزة للتعبير القرآني، وهي ظاهرة التمكن الدلالي للتذييل القرآني ودلالته على مقاصد القرآن وسوره، فلأهمية التذييل القرآني ودوره في انسجام واتساق النص القرآني، فقد رغبت في تناول ظاهرة التمكن الدلالي للتذييل القرآني ودلالته على مقاصد القرآن وسوره، وذلك من خلال التعرُّض إلى نماذج من التذييل القرآني ودراستها من وجهة بلاغية وسياقية، وقد بيَّنت الصلة بين تذييلها وبين ما قبلها من الآية،

وتبين أنه جاء مستقرًّا في مكانه، ولو استبدل به غيره لما تحقق الغرض المقصود من الآية ولما تمَّ المعنى المراد منها.

ترتبط ظاهرةُ التمكُّن الدلالي للتذييل القرآني بالعلاقات بين البُنى المتوالية للسياق بأكمله على وفق: مناسبة دلالة جملة التذييل لسياقها وسياق السورة العام الذي استدعاها ولمقصد السورة ومقاصد القرآن العامة، وهذه العلاقات مجتمعة مكَّنتها دلاليًّا في سياقها، وقد اعتبر علماء الإعجاز استعمال القرآن الكريم لأفصح الألفاظ بأحسن المواقع متضمّنة أسلم المعاني وأعلى الوجوه دلالة من مخائل إعجاز القرآن، حتى أوضح الخطابي هذا العلم بقوله: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزًا لأَنه جاء بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّنًا أصح المعاني"(١).

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما الأسرار البلاغية لجملة التذييل القرآني ومظاهر تمكّنها الدلالي في سياقها؟ وما أثرها في الكشف عن مقاصد القرآن وسوره؟

أسئلة البحث:

يمكن معالجة مشكلة الدراسة الحالية من خلال الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ما الأسرار البلاغية لجملة التذييل القرآني ومظاهر تمكّنها الدلالي في سياقها؟ وما أثرها في الكشف عن مقاصد القرآن وسوره؟

ويتفرَّع منه السؤالان الآتيان:

- ما النكات البلاغية التي يمكن الكشف عنها من خلال التعبير بالتذييل القرآني؟
- ما أثر التذييل القرآني في السياق الوارد فيه؟ وما مدى حاجة مقصد السورة

(١) الخطابي، حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم البستي، **بيان إعجاز القرآن**، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب (١٦)، تحقيق مُحَمَّد خلف الله، مُحَمَّد زغلول، (مصر: دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م)، ص٢٧.

والسياق القرآني إلى جملة التذييل القرآني، وهل يُغني غيرُها غناءها في سياقها؟

أهداف البحث:

تهدف الدراسة لتحقيق الهدف الرئيس، وهو بيان الأسرار البلاغية لجملة التذييل القرآني ومظاهر تمكّنها الدلالي في سياقها، والكشف عن دلالتها على مقاصد القرآن وسوره، وذلك لا يتم إلا بتحقيق الأهداف الفرعية الآتية:

– بيان المقصود بالتذييل القرآني، ومقصد السورة ومقاصد القرآن الكريم، وظاهرة التمكُّن الدلالي.

– التعرُّض إلى حالات التذييل القرآني من خلال عرض نماذج من التذييل القرآني ودراستها من وجهة بلاغية وسياقية ومقاصدية؛ لبيان سرِّ ورودها في موضعها ومظاهر تمكّنها الدلالي في السياق الواردة فيه.

أهمية البحث:

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

أولًا: الفوائد العلمية:

– أهمية المجال والموضوع الذي تبحث فيه، وهو مجال القرآن الكريم الذي هو أساس الدين، وهي دراسة في الإعجاز اللغوي والبياني والمقاصدي للتذييل القرآني، وقد تناولْتُ جملة التذييل القرآني من وجهة لغوية بيانية سياقية مقاصدية بفهمٍ ومنهجٍ جديدٍ؛ مما دعا إلى ضرورة التعريف بهذا المنهج والفهم الجديد، ومعالجته معالجة علمية.

– حل المشكلة البحثية المتمثلة ببيان الأسرار البلاغية لجملة التذييل القرآني ومظاهر تمكنها الدلالي في سياقها، وبيان أثرها في الكشف عن مقاصد القرآن وسوره.

– جِدّة الموضوع الذي تبحث فيه الدراسة، فقد قامت دراسات علمية تناولت موضوع التذييل القرآني، واستخراج الأسرار البلاغية فيه، ولكن لم أقف على دراسة علمية مستقلة محكّمة تناولت دلالة التذييل القرآني على مقاصد القرآن الكريم وسوره؛ مما استدعى وجود دراسة مستقلة وافية تتناول هذا الموضوع.

– الوقوف على سرِّ اصطفاء جملة التذييل القرآني وتمكّنها الدلالي وأنَّ ذلك يرجع إلى أنَّ جملة التذييل القرآني قادرة على تأكيد المعنى واختزاله وتصويره بأروع تصوير وأجمل بيان، كما أنها قادرة على جذب القارئ وتمكينه من متابعة ورصد ما تتضمَّنه جملة التذييل القرآني من إيحاءات ودلالات.

– الرد على الطاعنين من أعداء الإسلام الذين يقولون: إن التذييل القرآني إنما جاء للجرس الصوتي فقط، نافين بذلك ظاهرة الاتساق والتمكن الدلالي في جملة التذييل القرآني؛ وصولًا إلى هدفهم بأن نظم القرآن الكريم غير متَّسق، وأن آياته غير متمكّنة من موضعها ولا يربطها سياق.

ثانيًا: الفوائد التطبيقية:

تسعى هذه الدراسة لفتح آفاق لتدبُّر القرآن الكريم، فهي معنيَّة بالكشف عن ظاهرة التمكن الدلالي للتذييل القرآني، ولذا فالمجال البحثي مفتوح أمام الباحثين في الحقلين القرآني والبلاغي للوقوف على هذه الظاهرة وتقديم بحوث عديدة تتناولها، تكشف عن غنى القرآن الكريم بالإعجاز القرآني عامة وبالتذييل القرآني خاصة، مما يثبت عطاء القرآن الدائم الذي لا تبلى جدُّته.

الدراسات السابقة:

إنَّ القرآن الكريم مبنيٌّ على مقاصد أساسية تدل سوره وآياته عليها، وبناء على ذلك فإن سور القرآن لها أساليب وطرق وجِهات مخصوصة في الدلالة على مقصدها الذي يهدي بدوره إلى مقاصد القرآن الكريم، ومن أهم الوسائل العملية المعينة على معرفة مقصد السورة[(١)]: معرفة فضائل السورة، والتأمل في اسمها، وإمعان النظر في أوائل السورة وأواخرها، والتأمل في الكلمات المكررة في السورة، والنظرة الكلية للسورة ومراعاة سياقها العام.

(١) ينظر: المطيري، عبد المحسن بن زين، **علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم**، (الكويت: جامعة الكويت، د. ط، د. ت)، ص٥٤-٥٩. وزبادي، توفيق بن علي مراد، **أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها، دراسة تطبيقية على سورة مريم**، (السعودية: مجلة تدبّر، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م، عدد ٣)، ص١٥١-١٥٩.

ولكن لم تتعرّض دراسة علمية مستقلة- على حدِّ علمي- للتذييل القرآني وكونه يُعدُّ من الوسائل العملية المعينة على معرفة مقاصد القرآن عمومًا ومقاصد السور خاصة، وتطبيق ذلك على نماذج من التذييل القرآني -كما فعلت الدراسة الحالية- فللتذييل القرآني دور في الكشف عن هذه المقاصد، ولكنَّ ذلك يتطلَّب إمعان النظر في السورة جميعها والتأمل في سياقها العام.

ولذلك وبعد الاطلاع لم أقف على دراسة مستقلة تناولت ظاهرة التمكّن الدلالي للتذييل القرآني ودلالتها على مقاصد القرآن وسوره، فتبين لي بناء على ذلك حداثة الموضوع وعدم طرقه من قِبل الباحثين على الرغم من أهميته.

فما تضيفه الدراسة الحالية هو أنها:

- تدرس جملة التذييل القرآني من منظور بياني سياقي مقاصدي، ومن ثَمَّ الخروج بنظرية قرآنية بصدد ذلك، وهي أن جملة التذييل القرآني جاءت متمكّنة دلاليًّا من سياقها، وهدفت تحقيق مقاصد السور الواردة فيها وتحقيق مقاصد القرآن العامة؛ بالإضافة إلى دورها في إتمام معنى الآية وتوضيح صورتها، واستثارة نفسية السامع وجذب انتباهه إلى هذا التذييل الجميل وتمكينه من متابعة ورصد ما يتضمَّنه من إيحاءات خفية ودلالات رمزية وما يجلّيه من مضامين للسورة.
- تسعى للوصول إلى منهج علمي ينظِّم دراسة جملة التذييل القرآني وفق أسس واضحة ومنهج متكامل، يجمع بين دراستها لغويًّا وبيانيًّا، وربطها بسياق السورة ومقصدها ومقاصد القرآن الكريم.

وهذا كله -على حدِّ علم الباحث- مما لم يُتَناول بدراسة علمية مستقلة محكّمة.

وأما الدراسات المتعلقة بموضوع التذييل القرآني فهي بحوث تطبيقية بلاغية حول تذييل بعض الآيات، من مثل:

- **من «أسرار التذييل في آي من التنزيل»**: للدكتور رمضان خميس زكي الغريب (١٤٣١هـ)، بحث تطبيقي على بعض الآيات من سورة البقرة، سعى في دراسته إلى إبراز

صورة من صور البيان البلاغي في التذييل القرآني، مبينًا قيمة التذييل في روعة تصوير معنى الآية وجمال بيانها وتأكيد معناها، حيث بيَّن مفهوم التذييل وأقسامه، وقيمة التذييل البلاغية وعلاقته بالإعجاز القرآني، والعلاقة بين التذييل والفاصلة والمناسبة، ثم تناول في القسم الثاني من دراسته الجانب التطبيقي للتذييل القرآني على بعض الآيات من سورة البقرة.

- «**بلاغة القرآن في تذييل الآيات دراسة تأصيلية**»: للدكتور أحمد الشرقاوي (١٤٣٨هـ)، تعرَّض في دراسته إلى بيان معنى التذييل وأهمية دراسته، والفرق بينه وبين الفاصلة، وبيَّن فوائد التذييل، وأصول الوقوف على لطائفه، وسماته وفنونه، وركَّز على الجانب التأصيلي للتذييل القرآني والتمثيل لكل ما يذكر.

- «**التذييل في القرآن الكريم دراسة بلاغية– سورة البقرة نموذجًا**»: نالت بها الباحثة فاطمة معزوز درجة الماجستير في الأدب عام ٢٠١٣م، تحدثت فيها عن علاقة التذييل ببعض مباحث علوم القرآن، وتحدثت عن علاقة التذييل بالسياق، ثم عرضت للجانب التطبيقي للتذييل في سورة البقرة.

هذا بالإضافة إلى ما كُتب في الفاصلة من الناحية البلاغية، فظهر بذلك أن بعض الدراسات أخذت منحى التطبيق دون التأصيل، أو منحى التطبيق والتأصيل كدراسة الشرقاوي، أما دراستي فقد عُنيت بظاهرة التمكن الدلالي للتذييل القرآني ودلالتها على مقاصد القرآن وسوره.

منهج البحث:

وللإجابة عن أسئلة الدراسة اقتضت طبيعة الدراسة تعدّد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع بين:

- **المنهج الاستقرائي والاستنباطي**: في استقراء التذييل القرآني وتصنيفه ضمن حالات التذييل القرآني، ومن ثَمَّ استنباط أسراره البلاغية ومظاهر تمكّنه الدلالي في سياقه.

- **المنهج الوصفي**: الذي يرصد ويصف خصائص ظاهرة التمكُّن الدلالي للتذييل القرآني؛ للتوصل إلى نتائج عملية فُسِّرت وَوُصفت بطريقة موضوعية دقيقة تنسجم مع

المعطيات والبيانات الصحيحة لهذه الظاهرة، بحيث نثبت تمكُّن التذييل القرآني من سياقه، وسرّ هذا التمكن واللمحات الجمالية فيه، ودور التذييل القرآني في الكشف عن مقاصد القرآن وسوره.

كما تمَّ اعتماد المنهج الوصفي في هذه الدراسة في المطلب الأول من المبحث الأول، والذي تضمَّن تعريفًا بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث، لبيان حدودها ومقصدها، إذ هي التي ستقوم عليها الدراسة، ويُعتمد عليها في بناء التصور القرآني لمحاور الدراسة من خلال التذييل القرآني.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على بيان بعض الأسرار البلاغية للتذييل القرآني في نماذج من آيات القرآن الكريم من خلال عرض حالات التذييل القرآني، وذلك بعد بيان مفهوم التذييل وعلاقته بما قبله من بقية الآية.

أدوات البحث:

استخدم الباحث في جمع المعلومات والبيانات أداة تحليل المحتوى بعد حصر نماذج من التذييل القرآني، وتتبّعها من خلال النظر فيما كتبه المفسرون والبلاغيون واللغويون من أسرار ونكات بلاغية للتعبير بهذا التذييل.

خطة البحث:

المقدمة: وقد تضمنت عرض موضوع البحث، وإشكاليته، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجيّته، وهَيْكله.

المبحث الأول: المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث.

المطلب الثاني: علاقة التذييل بما قبله من بقية الآية.

المبحث الثاني: وهو المقصود من هذه الدراسة، حيث جعلته للدراسة التطبيقية، وذلك من خلال الحديث عن حالات التذييل القرآني، وهي أربع حالات كالآتي:

أولًا: اختلاف التذييل في موضع واحد والمتحدث عنه واحد.

ثانيًا: اختلاف التذييل في موضعين والمتحدث عنه واحد.

ثالثًا: اتفاق التذييل في موضع واحد والمتحدث عنه مختلف.

رابعًا: التذييل المشكل.

ومن خلال ذلك قمت بعرض نماذج من آيات القرآن الكريم تمثل هذه الحالات الأربع، وبيَّنت وجه ارتباط تذييلها بما قبله من الآية، ثم بيَّنت دلالة التذييل القرآني على مقصد السورة ومقصد القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التذييل القرآني

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث:

أولًا: التذييل:

لغة: مصدر (ذيَّل) للمبالغة، وهي لغة: جعل الشيء ذيلًا لشيء آخر، فالذيل: آخر كل شيء(١).

اصطلاحًا: تعقيب أو ختم الآية بجملة أخرى، متفقة ومتممة لمعناها، بأن تكون تأكيدًا لهذا المعنى، أو تلخيصًا لمضمونها أو معلّلة لها.

وفرَّق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورءوس الآي، قال: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس الآية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكنَّ رءوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم

(١) ينظر: ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم، **لسان العرب**، (القاهرة: دار المعارف، د. ط، د. ت)، ج١١، ص٢٦٠. والفيومي، أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقري، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط، د. ت)، ج١، ص٢١٣، مادة (ذ ي ل).

النوعين وتجمع الضربين..."[١].

وكلامنا في هذا البحث هو عن رأس الآية، أو ختام الآية مما هو متمم لمعنى الآية، بكونه تأكيدًا أو تلخيصًا أو تعليلًا لهذا المعنى، وعليه فلا يدخل في بحثنا كل رأس آية؛ إذ إن في رءوس الآي مما لا يعد تعقيبًا على الآية وتلخيصًا لمضمونها أو تعليلًا لها، إنما يؤتى به تتميمًا للكلام، أما التذييل القرآني فهو كلام مستقل في معنى الآية، يؤتى به بعد تمام الكلام؛ تحقيقًا لدلالة منطوق الآية أو مفهومها، فالغرض من هذا التذييل: أن يكون دليلًا ينضم مع الآية التي ذُيِّلت به؛ ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه.

من كل ذلك يمكننا صياغة التعريف الإجرائي الآتي للتذييل القرآني بقولنا: أنْ يُؤتى بعد تمام الكلام في الآية بكلام مستقل يكون في معنى الآية، تحقيقًا لدلالة منطوق الآية أو مفهومها، بكونه تأكيدًا لمعناها أو تلخيصًا لمضمونها أو تعليلًا لها؛ ليكون هذا التذييل مع ما بقي من الآية قبله كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند مَن فهمه[٢].

ثانيًا: عادات القرآن:

العادات لغة: من عاد يعود عوْدًا، والعوْد: تكرار الأمر وتثنيته[٣].

وأما اصطلاحًا: فقد اتفق الفقهاء والأصوليون على أن العادة هي الأمر المتكرر، والأمر المتكرر يشمل كل حادث يتكرر؛ لأن لفظة الأمر من أوسع ألفاظ اللغة عمومًا

(٢) الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرين، (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ج١، ص١٥٠.

(١) المرجع نفسه، ج٣، ص٦٨. صُغت هذا التعريف اعتمادًا على ما جاء في «البرهان» للزركشي مع إضافة عليه.

(٣) ينظر مادة (عود) في: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، «**المفردات في غريب القرآن**»، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ)، ص٥٩٣، مادة (عود). وابن منظور، «**لسان العرب**»، ج٣، ص٣١٥. والفراهيدي، الخليل بن أحمد، «**كتاب العين**»، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ج٢، ص٢١٧.

وشمولًا[١].

وبناء على ذلك يمكننا صياغة التعريف الإجرائي الآتي لعادات القرآن الأسلوبية في التذييل بقولنا: هي ما كرَّره القرآن الكريم من التذييل على حال وطريقة واحدة لمعنى وسرّ خاص أراده القرآن من هذا التكرار[٢].

ثالثًا: مقاصد السور ومقاصد القرآن الكريم:

المقصد لغة: أصل (قصد) الاعتزَام والأَمّ والتوجُّه والنهودُ والنهوضُ نَحْوَ الشَّيء، على اعتدال كان ذلك أَو جَوْر، هذا أَصله في الحقيقة، وإِنْ كان قد يُخَصّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل[٣]، و"مَقْصِدُ الكلام: مَدلولُه ومضمونُه"[٤].

من خلال العرض السابق لاستعمالات مادة (ق ص د) في لغة العرب، نجد أنها تدور على معنيين: الأول: الإتيان والعزم والتوَجُّهُ والنهودُ والنهوض نحو الشَّيء، والآخر: مضمون الكلام ومدلوله والمقصود منه، وبالجمع بين هذين المعنيين يمكن القول بأن المقصد هو: المغزى والمرجع والمآل والهدف والغرض والعمدة الذي يتَّجه إليه الكلام ويرجع إليه ويصب فيه.

وبناء على ما سبق عرضه يرى الباحث بأن مقصد السورة هو: مغزى السورة وغايتها

(١) ينظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، «**معجم مقاييس اللغة**»، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، د. ط، ١٤٢٠هـ)، ج١، ص١٣٧. والزحيلي، وهبة، «**أصول الفقه الإسلامي**»، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص٨٢٩. والغَزّي، مُحَمَّد صدقي البورنو، «**الوجيز في إيضاح القواعد الفقهية الكلية**»، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ)، ص٢٧٤.

(٢) أفدت في هذا التعريف مع توظيفه في التذييل القرآني من كتاب: الثنيان، راشد بن حمود، «**عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية**»، (الرياض: دار التدمرية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص٢٩.

(٣) ينظر مادة (قصد) في: ابن فارس، «**معجم مقاييس اللغة**»، ج٥، ص٩٥. والفيومي، أحمد بن مُحَمَّد بن علي، «**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**»، تحقيق عبد العظيم الشناوي، (القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٥٠٤.

(٤) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ط١، ج٢، ص: ١٦١٧.

الخفيَّة الجامعة لمعانيها ومضمونها، ولا يُطَّلع عليها إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه[١].

وأمَّا مقاصد القرآن الكريم فهي: الغايات والحِكَم والأسرار العامة والخاصة والجزئية التي يدور حولها القرآن الكريم ونزل من أجلها؛ إصلاحًا لأحوال العباد الفردية والجماعية والعمرانية[٢].

رابعًا: التمكُّن الدلالي:

التمكُّن لغة: من (مكن) بمعنى القدرة والاستطاعة والقوة والشدة والاستقرار، يقال (أمكنه) من الشيء جعل له عليه سلطانًا وقدرة، ويقال: فلان لا يمكنه النهوض لا يقدر عليه، وتمكَّن عند الناس علا شأنه، وتمكن المكان وبه استقر فيه، وتمكَّن من الشيء قدر عليه أو ظفر به[٣].

والتمكُّن أو الاتّساق[٤] مرتبط بالأسلوب من حيث موضع اللفظ في إطار الجملة النحوية الواحدة ومديّات التوافق بينه وما يجاوره من ألفاظ[٥]، يقول الجرجاني: "وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه؛ قلقلة ونابية ومستكرهة، إلا وغرَضُهم أن يعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأنَّ الأولى لم تَلِقْ

(١) صُغْتُ تعريف مقصد السورة من خلال النظر في عدة مراجع، منها: الربيعة، مُحَمَّد بن عبد الله، «**علم مقاصد السور**»، (السعودية: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٣٢هـ)، ص٧. والفراهي، عبد الحميد الهندي، «**دلائل النظام**»، (مصر: المطبعة الحميدية، ط١، ١٣٨٨هـ)، ص٧٣.

(٢) صُغْتُ تعريف مقاصد القرآن الكريم من خلال النظر في عدة مراجع، منها: حامدي، عبد الكريم، «**مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**»، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص٢٩. وابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر، **التحرير والتنوير** «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، (تونس: دار سحنون، د. ط، ١٩٩٧م)، ج١، ص٣٨.

(٣) ينظر مادة (مكن) في: أنيس، إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، والصوالحي عطية، وأحمد، مُحَمَّد خلف الله، «**المعجم الوسيط**»، (القاهرة: مجمع اللغة العربية-مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٨٨٢.

(٤) الاتساق: بمعنى الضم والجمع والانتظام والانسجام، ينظر مادة (وسق) في: ابن منظور، «**لسان العرب**»، ج١٠، ص٣٩٧.

(٥) ينظر: غافل، مُحَمَّد عبد الزهرة، وغازي، شكيب، «**التمكن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم**»، مجلة اللغة العربية وآدابها، العراق، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ع١٥، ص١٩٨.

بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقًا للتالية في مؤدّاها"[١].

وأما التمكن الدلالي للتذييل القرآني فيمكن تعريفه إجرائيًّا بأنه: حسن الاتفاق والانسجام والانتظام بين أجزاء التذييل القرآني المشكلة للمعنى، وأن هذا الانسجام والتمكن يرتبط بالعلاقات بين البُنى المتوالية للسياق بأكمله على وفق: مناسبة دلالة جملة التذييل لسياقها وسياق السورة العام الذي استدعاها ولمقصد السورة ومقاصد القرآن العامة، وهذه العلاقات مجتمعة مكنته دلاليًّا في سياقه، بحيث يؤدّي المعنى المراد بدقة ولا يغني غيرُه من جمل التذييل غناءَه.

خامسًا: الإطناب:

لغة: أطنب في الكلام يعني بالغ فيه[٢]، يقول ابن فارس: "الطاء والنون والباء أصلٌ يدلُّ على ثَبات الشَّيء وتمكنه في استطالة"[٣].

اصطلاحًا: زيادة اللفظ على المعنى لغرض بلاغي، والإطناب في مواضعه من البلاغة، كما الإيجاز في مواضعه بلاغة[٤].

المطلب الثاني: علاقة التذييل بما قبله من بقية الآية:

إنَّ التذييل القرآني له قيمته في إتمام المعنى، وتوضيح الصورة، ولذا يأتي التذييل القرآني مستقرًّا في قراره، مطمئنًّا في مواضعه، غيرَ نافر ولا قلق، يتعلق معناه بمعنى الآية كلها، بحيث لو نزع من الآية لاختل المعنى، ولما حقق الغرض المقصود من الآية، فهو في مكانه

(١) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد الفارسي، «**دلائل الإعجاز في علم المعاني**»، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر أبو فهر، (القاهرة: مطبعة المدني –جدة: دار المدني، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ص٤٥.

(٢) ينظر مادة (طنب) في: الجوهري، إسماعيل بن حماد، «**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**»، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م)، ج١، ص١٧٢.

(٣) ينظر مادة (طنب) في: ابن فارس، «**معجم مقاييس اللغة**»، ج٣، ص٤٢٦.

(٤) ينظر: الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد الدين بن عمر، «**الإيضاح في علوم البلاغة**»، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط٤، ١٩٩٨م)، ص١٧٩. وأنيس، إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، والصوالحي عطية، وأحمد، مُحَمَّد خلف الله، «**المعجم الوسيط**»، ج٢، ص٥٦٧.

يؤدي جزءًا من معنى الآية ينقص ويختل بنزعه، وقد يشتدُّ تمكن التذييل في مكانه حتى إن السامع ليشعر به قبل نطقه.

والمتأمل في التذييل القرآني يرى أنه على ضربين: ضرب تتناوب فيه أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وضرب ليس كذلك مما هو تعليل أو تأكيد للآية يقصد بذلك تتميم معناها.

وأما تذييل القرآن بأسماء الله وصفاته، فهو يثري التذييل بدلالات لا تحصى من ظلال هذه الأسماء، التي لها طابع القداسة والأهمية، والتي فيها معاني الجلال والجمال، فعدا عمَّا تحدثه هذه الأسماء في التذييل القرآني من جمال يقرع الأسماع ويخالج النفوس؛ لأنها آخر ما يتناهى إلى القارئ والسامع من الآية، فإنها ومن خلال العلاقات التي تربطها مع بقية الآية قبلها من تمكين وتوشيح وتصدير، تمامًا في معنى الآية، وتحقيقًا للغرض المقصود منها، هذا عدا أيضًا عن الإيقاع الموسيقي لهذه الأسماء الحسنى، فمعظمها إن لم نقل كلها مردوف بأحد حروف المد، لا سيما مد الياء، مما يترك صداه الآسر في موقعه من التذييل، وفي تناغمه مع الطابع العام للتذييل القرآني(١).

هذا بالنسبة إلى الدلالات العامة لتردد أسماء الله الحسنى، أمَّا فيما يخص كل اسم على حدة، وفي كل موضع، وتقديم بعضها على بعض، والتعبير ببعضها دون الآخر، فباب واسع، اجتزأت منه بعض النماذج من كتاب الله تعالى، عسى أن أكون قد وفقت لبيان بعض الأسرار الجمالية البيانية للتعبير بهذه الأسماء دون غيرها، وكذلك بيان بعض الأسرار البيانية للتعبير بالتذييل القرآني مما هو من غير ما تناوبت فيه أسماء الله الحسنى.

إن للتذييل القرآني علاقة وثيقة بما قبله من الآية، وقد يشير سياق الآية إلى تذييلها إشارة لفظية جلية، وقد يظهر ذلك بعد بحث وتأمل.

فقد يُمهد للتذييل قبله تمهيدًا يأتي به التذييل القرآني ممكنًا في مكانه، متعلقًا معناه

(١) ينظر: الحسناوي، محمَّد، «**الفاصلة في القرآن**»، (بيروت: المكتب الإسلامي- دار عمار، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص٣١٤، ٣١٥.

بمعنى الكلام كله قبله تعلقًا تامًّا، بحيث لو نزع التذييل جانبًا لاختل المعنى، واضطرب الفهم، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾} [الأحزاب: ٢٥]، فإن الكلام لو اقتُصِر فيه على قوله: {وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ} لأوهم ذلك بعض ضعفاء الإيمان، وحينها يوافقون الكفار في اعتقادهم وهو أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم، ولم يبلغوا ما أرادوا، فجاء التذييل حينئذ إعلامًا من الله للمؤمنين ليزدادوا يقينًا على أن الله هو الغالب وكذا حزبه، وأن النصر بيد الله تعالى، وأن الريح ليست هي التي نصرتهم؛ بل هي جند من جنود الله تعالى أرسلها الله على أعدائه؛ لينصر عباده المؤمنين، ويزيدهم يقينًا بأن الناصر هو الله تعالى وحده، وهذا التمهيد أطلق عليه البلاغيون التمكين، والتذييل القرآني يمكن إدراجه تحت هذا الإطلاق(١).

وقد يتقدم لفظ التذييل بمادته في أول صدر الآية أو في أثنائها أو في آخرها كقوله تعالى: { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨]، وهذا ما يسميه البلاغيون بالتصدير، ويسمى عند البلاغيين القدماء بردِّ الأعجاز على الصدور(٢).

وقد يرد في الآية معنى يشير إلى التذييل حتى يعرف منه قبل قراءتها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** {وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} [الملك: ١٣]، وهذا ما يطلق عليه البلاغيون التوشيح، وهو ما كانت دلالته على التذييل معنوية، بخلاف التصدير فتكون دلالته على التذييل لفظية، وفي التمكين يكون في الآية تمهيد للتذييل، فيأتي التذييل متممًا لمعنى الآية(٣).

والمتأمل في غرض التذييل القرآني يرى أنه لم يأت مجرد توافق ألفاظ، ولم يأت في الآية لمناسبة لفظية مرغوبة كمراعاة للفاصلة فحسب، بل إنه بالإضافة إلى ذلك جاء ليتمِّم معنى الآية، ويحقق الغرض المقصود منها، فقد يكون التذييل تعقبًا على الآية، أو تلخيصًا

(١) ينظر: الزركشي، «**البرهان في علوم القرآن**»، ج١، ص٧٨. والسيوطي، جلال الدين، «**الإتقان في علوم القرآن**»، (بيروت: عالم الكتب، د. ط، د. ت)، ج١، ص٣٥١.

(٢) ينظر: المرجع نفسه الأول، ج١، ص٩٤. والمرجع نفسه الثاني، ج٣، ص٣٥٤.

(٣) ينظر: المرجع نفسه الأول، ج١، ص٩٥. والمرجع نفسه الثاني، ج٣، ص٣٥٥.

لمضمونها، أو توكيدًا لمعناها، أو تعليلًا لها، أو ترغيبًا في امتثال ما جاء من الأمر فيها، أو ترهيبا ممَّا جاء من النهي فيها.

ولذا فلا ينبغي لنا أن ننظر إلى بلاغة التذييل القرآني هذه النظرة المحدودة التي لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ، فإن هذه الصورة اللفظية الحسية مع جمالها لا يصح أن تصرفنا، ولا تحجب عن ذهننا ما استتر فيها من بدائع الأسرار، ودقائق الأغراض، فالتذييل القرآني تابع لمعاني الآيات لا العكس؛ لأن قولنا إن المعاني تابعة للتذييل يقلب ما توجبه الحكمة في الدلالة؛ إذ الغرض إنما هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة، وعليه فما دام التذييل القرآني تابعًا للمعنى، فيمكننا أن نصفه حينئذ بالبلاغة[1].

(١) ينظر: لاشين، عبد الفتاح، «**البديع في ضوء أساليب القرآن**»، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، ص١٤٣. والرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، «**النكت في إعجاز القرآن**»، المحقق: مُحَمَّد خلف الله، د. مُحَمَّد زغلول سلام، (مصر: دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م)، ص٩٧.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية (حالات التذييل القرآني)

من خلال النظر في العديد من الجمل التذييلية للآيات الكريمة، لاحظت أن هذه الجمل التذييلية قد تأتي أحيانًا مختلفة في موضع واحد من نفس السورة والمتحدِّث عنه واحد، وأحيانًا تأتي هذه الجمل مختلفة في موضعين من سورتين مختلفتين، والمتحدِّث عنه واحد، وأحيانًا أخرى تتحد هذه الجمل في موضع واحد من نفس السورة والمتحدِّث عنه مختلف، وهذه الحالات الثلاث للجمل التذييلية لها علاقة وثيقة بما قبلها من النص القرآني في الآية وتبدو هذه العلاقة ظاهرة جلية، ولكن هناك من الجمل التذييلية المشكلة من حيث ربطها بما قبلها من النص القرآني، فهي تحتاج إلى تدقيق في التفكير وإلى بحث ونظر، وعندها إذا أُنعم النظر ودُقِّق في الكلام، عُلم أنه يجب أن يكون التذييل على ما عليها التلاوة، ولذا ارتأيت أن أجعل هذه الدراسة للتذييل القرآني وبيان ما فيه من الإعجاز البياني ضمن الحالات الآتية:

المطلب الأولى: اختلاف التذييل في موضع واحد والمتحدَّث عنه واحد:

في هذه الحالة يختلف التذييل القرآني في نفس السورة، علمًا بأن الموضوع واحد، ومن ذلك:

النموذج الأول: كذّب القرآنُ الكريم المشركين حينما وصفوا القرآن بالشعر والكهانة، قال تعالى: {إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾} [الحاقة: ٤٠-٤٢]، والملاحظ في الآية الكريمة أنها عقَّبت نفي الشعر بالتذييل {قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ}، ونفي الكهانة بالتذييل {قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ}؟

ولعل السر في ذلك هو أنَّ مخالفة القرآن لنظم الشعر واضحة لا تخفى على أحد، فَقَوْل من قال إنه شعر: كُفر وعناد محض، فناسب ذلك ختمه بـ{قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ}، فمن نسب النبي ﷺ إلى الشعر فهو جاحد كافر؛ لأنه يعلم أن القرآن ليس بشعرٍ، لا في أوزان آياته ولا في تشاكل مقاطعه، إذ منه آية طويلة وأخرى إلى جانبها قصيرة، كآية (الدَّيْن) وما قبلها (البقرة: ٢٨١، ٢٨٢)، وأمَّا اختلاف المقاطع، فهو غير خاف عن العرب شاعرها ومفحمها

أنه ليس بشعرٍ، فمن نسبه إلى أنه شاعر، فهو لقلة إيمانه، ولذلك كان التذييل بـ{قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ}، وأما من قال: إنه كاهن؛ فلأن كلام الكهنة نثر غير نظم، فمن قال: إنه ككلام الكهان، فإنه ذاهل عن تذكُّر ما بُني عليه كلامهم من السجع الذي يُتبعون فيه معاني ألفاظهم، وحق اللفظ في البلاغة أن يكون تابعًا للمعنى، وهو ما عليه القرآن، فكلٌّ من القرآن وسجع الكُّهان نثر، والتفرقة بينهما تحتاج إلى تدبر وتذكر؛ إذ المخالفة بينهما ليست واضحة وضوح الشعر والقرآن، وإنما تحتاج إلى تذكُّر ما في القرآن الكريم من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة، ولذلك حَسُن ختمه بالتذييل {قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}[(١)].

نخلص من ذلك كله بقولنا: إنَّ التذييل القرآني لهاتين الآيتين {قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} و{قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} جاء من باب التعليل للآية، فالتذييل {قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} جاء تعليلًا لقولهم بأن النبي ﷺ شاعر، وما سبب قولهم ذلك إلا لقلة إيمانهم؛ لأنه لا يخفى عليهم مخالفة القرآن لنظم الشعر.

وكذلك الحال في التذييل القرآني بـ{قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}، فقد جاء تعليلًا لقولهم بأن النبي ﷺ كاهن، وما سبب قولهم ذلك إلا لقلة تذكرهم ما بني عليه كلامهم من السجع الذي يُتبعون فيه معاني ألفاظهم، وما بنيت عليه ألفاظ القرآن من كونها تابعة للمعنى.

وأمَّا دلالة التذييلين {قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} {قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} على مقصد سورة الحاقة ومقصد القرآن الكريم فتظهر كما يأتي:

بداية نقول: إنَّ القرآن الكريم مبني على مقاصد أساسية تدل سوره وآياته عليها،

(١) انظر: الإسكافي، مُحَمَّد بن عبد الله الأصبهاني، «**درة التنزيل وغرة التأويل**»، تحقيق: مُحَمَّد آيدين، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١، ٢٠٠١م)، ص١٢٩٥. والسيوطي، «**الإتقان في علوم القرآن**»، ج٣، ٣٤٩. ومثل هذا الكلام وقريب منه قال المفسرون، انظر مثلًا: الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين عمر، **التفسير الكبير** «**مفاتيح الغيب**»، (بيروت- لبنان: دار الفكر، د. ط، د. ت)، ج١٦، ص٨. وأبو السعود، مُحَمَّد العمادي، «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**»، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م)، ج٦، ص٣٧٤. وابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج٢٩، ١٤٥.

وبناء على ذلك فإن سور القرآن لها أساليب وطرق وجِهات مخصوصة في الدلالة على مقصدها الذي يهدي بدوره إلى مقاصد القرآن الكريم، ومن الوسائل العملية المعينة على معرفة مقصد السورة مما يتعلق بموضوع الدراسة: التأمل في التذييل القرآني، فهو يكشف عن مقاصد القرآن عمومًا ومقاصد السور خاصة، وذلك يتطلب إمعان النظر في السورة جميعها والتأمل في سياقها العام.

مقصد سورة الحاقة: تتفق هذه السورة مع بيان أهداف التنزيل المكي فقد عُنيت بأصول العقيدة، وتحدثت عن أهوال القيامة، وصدق الوحي، وكون القرآن كلام الله تعالى، وتبرئة الرسول ﷺ من افتراءات الكفار واتهامات الضالين، ولذلك فهي تركّز على حتمية وقوع القيامة تأكيدًا لصدق القرآن، ووعدًا للمؤمنين بالفرحة، ووعيدًا للمكذبين بالحسرة(١).

وهنا تظهر المناسبة جليَّة بين دلالة التذييلَيْن {قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} {قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} وبين مقصد السورة، حيث يصوّر سياق التذييلَيْن مدى تكذيب الكفار وعنادهم وافتراءاتهم على القرآن والنبي ﷺ ومدى الغيظ والغضب الذي يكمن في نفوسهم على القرآن الكريم، ثم تحوّل هذا الغيظ إلى افتراءات على القرآن الكريم ظهرت على ألسنتهم بقولهم عن القرآن بأنه شعر وكهانة، وهذا في غاية المناسبة لمقصد سورة الحاقة الذي تضمَّن إثبات الوحدانية والنبوة والبعث والجزاء، وتهذيب نفوسهم وتزكيتها وإصلاح فكرهم وضرورة استعمال عقولهم، فالتعقُّل طريق إلى التذكُّر، والتذكُّر طريق إلى التقوى وثمرتهما صلاح الاعتقاد والإيمان.

وهكذا نجد التذييلَيْن {قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} {قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} يقومان ببناء التصور الاعتقادي تجاه القرآن الكريم وتوضيحه وتخليصه من تأويلات وافتراءات وتحريفات الكفار، وكذلك تجاه النبي ﷺ بتقرير نبوّته وتخليصه من افتراءاتهم، وبذلك يحقق الصلاح الفردي ورأسه صلاح الاعتقاد، ومن ثَمَّ القيام بما أوجبه الله على هذه الأمة من إصلاحات متمثلة بالإصلاح

(١) ينظر: جماعة من علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٦هـ)، ص٥٦٦. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ)، ط٢، ج٢٩، ص٨٠. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ١١١.

الجماعي والعمراني والتي تبدأ من الإصلاح الفردي، وكأن التذييلين السابقين أصبحا شعارًا يرمزان إلى دلالات متعددة فهما من جهة رمز للكفار ببطلان افتراءاتهم على القرآن الكريم وعلى النبي ﷺ وتحذيرًا لهم ووعيدًا لهم بالحسرة، وهما بذلك يمثلان النموذج السلبي للمقصد الذي تركز عليه السورة، نموذج مَن يكذب بالقرآن مِن الكفار، ومن جهة أخرى فهما رمز مُثَبِّت للمؤمنين ومسل للنبي ﷺ عما يلاقيه من تكذيب كفار قريش وصدهم له، وافتراؤهم عليه.

وبذلك لم يَهْدِ التذييلان {قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} {قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} إلى مقصد سورة الحاقة ويدلان عليه فحسب؛ بل إنهما حقَّقا كذلك مقصد من مقاصد القرآن العامة وهو إصلاح الاعتقاد.

النموذج الثاني: يرشد الله تعالى الأزواج إلى المعاملة الحسنة، والخوف من الله والمسامحة عند الانفصال، **قَالَ تَعَالَىٰ:** {وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾} [النساء: ١٢٨، ١٢٩].

والملاحظ هنا خَتْم الآية الأولى بالتذييل: {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } والآية الثانية بالتذييل: {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا }، وليتسنّى لنا الوقوف على سرِّ التعبير بذلك، فلا بدَّ لنا من الوقوف على معنى الآيات.

المعنى في الآية الأولى: إنِ امرأة خافت من زوجها ترفعًا عليها بالتقتير في نفقتها؛ لبغضها أو طموح عينه إلى ما هو أجمل منها أو نبوّ الملل أو إعراضًا لموجدة، فلا إثم في أن يتصالحا على أن تترك له من مهرها أو بعض أثاثها ما يتراضيان به، والصلح خير، ونفس كل منهما تشحُّ بما لها من قبل صاحبها، ومثل هذه الظروف تقتضي أن يعامل الأزواج الزوجات بالحسنى وترك القبيح، فإن فعلوا ذلك وتجافوا القبيح وآثروا المعاملة بالإحسان، فالله تعالى به

عليم وعليه مجاز، ولهذا حسن ختام هذه الآية بالتذييل: {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا }[1].

ولذا فقد جاء هذا التذييل تعليلًا لما ندب الله تعالى عليه الأزواج من حسن المعاملة للزوجات، ولتأكيد وجوب الامتثال، فكون أن الله عز وجل هو البالغ في العلم سبحانه، فيعلم الأشياء والأمور من المصالح والمفاسد، ويعلم الأمور على ما تقع عليها، فهو سبحانه لا يأمر إلا بما فيه مصلحة ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة، فما ندب عليه الأزواج من حسن معاملتهم لأزواجهم إلا لما في ذلك من المصلحة لهم ولأولادهم ومجتمعهم.

وأما حكمة التعبير بـ{خَبِيرًا} دون {عَلِيمًا} مثلًا، فهي أن الخبرة أخص وأدق من العلم، فالخبير في صفاته تعالى بمعنى العالم ببواطن الأمور وظواهرها وبما كان منها وما يكون، والعالم بأخبار مخلوقاته لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، فالله تعالى لما رغَّب في الإحسان والتقوى في حقِّ الزوجات بقوله: {وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا }، بيَّن أن اتقاء النشوز والإعراض سبب في حسن الجزاء وعظم المثوبة من الله تعالى، وأمَّا إن لم تمتثلوا بعدم اتقاء النشوز والإعراض، فإن الله سبحانه خبير بذلك عالم بإعراض قلوبكم عن أزواجكم، وعالم بنشوزكم الظاهر في حق أزواجكم، فلما كان الله تعالى عالم ببواطن أمورهم وظواهرها ناسب استعمال {خَبِيرًا} دون {عَلِيمًا}[2].

المعنى في الآية الثانية: إنَّ العدل بين النساء في محبتهن غير مستطاع؛ لأنَّ ذلك ليس إليكم وإن حرصتم على التسوية بينهن، فلا تميلوا كل الميل بأن تجعلوا كل مبيتكم وجميل عشرتكم وسعة نفقتكم عند التي تشتهونها دون الأخرى، فتبقى معلقة لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة، فاقتضت تلك الظروف أن يحث الأزواج على إصلاح ما كان بينهم من الانصباب إلى الواحدة دون ضَراتها بالتوبة مما سلف واستئناف ما يقدرون عليه من التسوية،

(١) ينظر: الإسكافي، «**درة التنزيل وغرة التأويل**»، **ص٤١١**. وانظر تفسير الآيات في: الرازي، **التفسير الكبير** «**مفاتيح الغيب**»، ج٥، ص٤٠١. وابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج٤، ٨٤.

(٢) ينظر: السمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، «**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**»، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج١، ص٤٨٥.

ويملكونه من الخلوة، وسعة النفقة، وحسن العشرة، فلمَّا عذر الأزواج في بعض الميْل وهو الذي لا يملكون خلافه، وحثّهم على ما يطيقون فعله وعلى صلاح ما سلف منهم، جاء التذييل؛ ليبيّن أن الله يغفر لمن يقلع عن ذنوبه، ويؤثر بعدها الحسنى من أفعاله(١)، فقال تعالى: {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا} ولذا جاء هذا التذييل من باب الترغيب للأزواج بالعدل مع أزواجهم فيما يطيقون، وترهيبًا بالاستمرار في ظلم الزوجة مع القدرة على العدل بينهما وبين ضرّاتها.

وأما سبب تقديم {غَفُورًا} على {رَّحِيمًا}؛ فلأن المغفرة ستر للذنوب، وأما الرحمة فتفضل وإنعام زائد على مغفرة الذنوب، لذا قدِّمت المغفرة على الرحمة، والتخلية مقدمة على التحلية(٢).

وحيث إن هذه الآيات الكريمة واردة في سياق ذنوب الأزواج، أو في سياق تقصيرهم فيما أمروا به من العدل بين النساء، فناسب لذلك تقديم {غَفُورًا} وبعدها يتفضل عليهم ويرحمهم، أو نقول إنَّ الله يستر ذنوبهم، ويتجاوز عن خطاياهم؛ لأنه عظيم الرحمة بهم وبمن خلق، فجاء الوصف بـ(الرحيم) تعليلًا لمغفرته التي وسعت ذنوب العباد جليلها ودقيقها، وبهذا نجد أن كل تذييل في الآيتين قد وقع موقعه وحل محلّه.

بمثل هذا الإحكام في ترتيب الصفات ننظر إلى تقديم (الغفور) على (الرحيم) في أكثر من سبعين موضعًا من الجمل التذييلية في القرآن؛ حيث يجيء الوصف بـ(الرحيم) تعليلًا لمغفرته التي وسعت ذنوب العباد جليلها ودقيقها، ووسعت ذواتهم، فهو واسع المغفرة عظيمها، يستر ذنوب عباده، ويتجاوز عن خطاياهم؛ لأنه عظيم الرحمة بمن خلق، وهكذا جاء وصف الرحمة متأخرًا أبدًا إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ

(١) ينظر: الإسكافي، «**درة التنزيل وغرة التأويل**»، ص٤١١-٤١٣.

(٢) ينظر: عباس، فضل حسن وسناء فضل، «**إعجاز القران الكريم**»، (عمان: دار الفرقان، ط٤، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م)، ص٢١٣.

مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾} [سبأ: ١، ٢]، وفي البحث عن سر هذه المخالفة، نرى أن الغفور يتقدم في كل موطن يهمس فيه السياق بوقوع المعاصي وكفران النعم، والدعوة إلى التوبة والاستغفار من الذنوب، فتكون المبادرة بالمغفرة؛ لطمأنة المذنبين والخطائين إلى أن يد الله ممدودة إليهم، تعفو عنهم وتستر خطاياهم؛ لأنه رحيم بهم، كما نجده في مثل قوله تعالى: { إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ } [آل عمران: ٨٩]، أما الآية التي تقدمت فيها الرحمة من سورة سبأ، فهي في سياق يعدد الله تعالى فيه نعمه على خلقه المستوجبة للحمد والشكر عليها، فيذكر إحكام أمره، وهيمنته على ما في السماوات والأرض إيجادًا وإعدامًا، وإحياء وإماتة، وتدبير أمر الكون وتسخير ما فيه للإنسان، هذه النعم الجليلة مصدرها ودوام بقائها رحمة الله الواسعة بخلقه مع مقابلتهم لها بالكفران والنسيان، فتقديم الرحمة هو الأنسب بهذا السياق؛ حيث كانت سبب نعمه، وهي بعد ذلك سبب في تجاوزه عمَّن أنعم عليهم إن هم قصَّروا في شكره عليها(١).

وللسهيلي وجه في هذا التقديم لا يبعد عن بلاغة النظم؛ لأنه يجعل الترتيب ضربًا من الترقّي بذكر الخاص بعد العام، يقول: "وأما قوله: {وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ } في (سبأ)، فالرحمة هناك متقدمة على المغفرة، إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع؛ لأنها منتظمة بذكر أوصاف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصُّهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص"(٢).

وأما دلالة التذييلين: {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا } {وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا} على مقصد سورة النساء ومقصد القرآن الكريم فتظهر كما يأتي:

مقصد سورة النساء: تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق

(١) ينظر: الخضري، مُحَمَّد الأمين، «**من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية**»، (د. م، د. ن، د. ط، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ص٥٠-٥١.

(٢) السهيلي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، «**نتاج الفكر في النحو**»، تحقيق: مُحَمَّد البنا، (الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع، د. ط، د. ت)، ص٢٧١.

الاجتماعية والمالية؛ إزالةً لرواسب الجاهلية وتركيزًا على حقوق النساء والضعفاء، وتضمنت السورة الكلام عن أحكام الأسرة الصغرى الخلية الاجتماعية الأولى، والأسرة الكبرى المجتمع الإسلامي وعلاقته بالمجتمع الإنساني، فأبانت بنحو رائع وحدة الأصل والمنشأ الإنساني بكون الناس جميعًا من نفس واحدة، ووضعت رقيبًا على العلاقة الاجتماعية العامة بالأمر بتقوى الله في النفس والغير وفي السر والعلن[١].

وهنا تظهر المناسبة جلية بين دلالة التذييلَيْن وبين مقصد السورة، حيث تضمنت الآيتان السابقتان من سورة النساء (١٢٨-١٢٩) الحديث عن أحكام النساء، وتوطيد دعائم الرابطة الزوجية بالإصلاح، وبالعدل بين الزوجات حال التعدد[٢]، وهذا في غاية المناسبة لمقصد سورة النساء الذي تضمَّن تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، وذلك بتنظيم الأسرة الصغرى الخلية الاجتماعية الأولى، وكيفية فض النزاع بين الزوجين، والحرص على عقدة النكاح؛ إزالةً لرواسب الجاهلية وتركيزًا على حقوق النساء والضعفاء، وتزكية نفوس الأزواج وتربيتها على التسامح والإحسان، فقد جُبِلت النفوس على الحرص والبخل، فلا ترغب في التنازل عما لها من حق، فبيَّن الله تعالى لهم أنهم إن أحسنوا في كل شئونهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن الله كان بما يعملون خبيرًا لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم به، كذلك إنْ أصلح الأزواج ما بينهم بأن يحمِلوا أنفسهم على ما لا تهواه من القيام بحق الزوجة ويتقوا الله فيها، فإن الله كان غفورًا رحيمًا بهم.

وبذلك وضعت الآيتان السابقتان رقيبًا على العلاقة الزوجية بالأمر بتقوى الله في النفس والغير وفي السرِّ والعلن، وبذلك يحقق الصلاح الفردي ورأسه صلاح الاعتقاد، ومن ثَمَّ القيام بما أوجبه الله على هذه الأمة من إصلاحات متمثلة بالإصلاح الجماعي-الأسرة

(٣) ينظر: جماعة من علماء التفسير، «**المختصر في تفسير القرآن الكريم**»، ص٧٧. والزحيلي، «**التفسير المنير**»، ج٤، ص٢٢١. وابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج٤، ص٢١٣.

(١) الزحيلي، «**التفسير المنير**»، ج٥، ص٢٩٣.

الكبرى، وهي المجتمع الإسلامي وعلاقته بالمجتمع الإنساني- والإصلاح العمراني، وتبدأ هذه الإصلاحات من الإصلاح الفردي، وقد هدفت سورة النساء تحقيق هذه الإصلاحات مبتدئة من تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال الأسرة الصغرى الخلية الاجتماعية الأولى، وهكذا "يتحقق المقصد الأعلى العام من القرآن الكريم؛ وهو هداية الأمة وتنزيهها، وتحقيق الصلاح على المستوى الفردي والجماعي والعمراني"(١)، وكأن التذييلَيْن السابقين أصبحا شعارًا ورمزًا للأزواج في علاقاتهم الزوجية، وترغيبًا لهم بالعدل والإحسان مع أزواجهم فيما يطيقون، وترهيبًا وتحذيرًا لهم من الاستمرار في الجَوْر في معاملتهم وترك الإحسان معهم، كذلك فقد أصبح التذييلان السابقان شعارًا للأزواج لتحصيل التقوى، وذلك بالعدل والإحسان مع الزوجات.

وبذلك لم يَهْدِ التذييلان {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } {وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا } إلى مقصد سورة النساء ويدلان عليه فحسب؛ بل إنهما حقَّقا كذلك مقاصد القرآن المدني العامة من بيان أحكام التشريع المتعلقة بالعلاقة الزوجية، وإحاطته بسياج عقدي بالأمر بتقوى الله، وفي ذلك إصلاح فردي يؤدي إلى إصلاحات جماعية كذلك.

المطلب الثاني: اختلاف التذييل في موضعين، والمتحدَّث عنه واحد:

في هذه الحالة يختلف التذييل القرآني في سورتين، علمًا بأن الموضوع واحد، ومن ذلك:

ما وصف الله تعالى به الإنسان، وما وصل إليه من التنكر للخير والبطر على النعمة، قال تعالى: { ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ } [إبراهيم: ٣٢]، ثم يبيّن الله تعالى نعمه على عباده، ويمتنُّ بها عليهم، فيقول تعالى: {وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [إبراهيم: ٣٤]، وفي سورة النحل يسوق المولى

(١) مقاصد القرآن العامة في: ابن عاشور، «**التحرير والتنوير**» ١/٣٨-٣٩.

سبحانه كثيرًا من الآيات الدالة على ألوهيته، الناطقة بربوبيته، ثم يختم هذه الآيات بقوله تعالى: { وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ } [النحل: ١٨].

إنَّ المتدبِّر في هذه الآيات يلاحظ اختلاف التذييلين فيها مع أن المتحدث عنه شيء واحد. وينقل الزركشي عن ابن المنير في تفسيره الكبير (البحر الكبير في بحث التفسير)[١] في سرِّ اختلاف التذييلين قولَه: "كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلومًا وكونك كفارًا، ولي عند إعطائها وصفان، وهما: أني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء"[٢].

وأما حكمة تخصيص آية النحل بوصف المنعِم، فيكون تذييلها {إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ }، وآية إبراهيم بوصف المنعَم عليه، فيكون تذييلها: {إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾} فلأن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه من التنكر للخير، والبطر على النعمة، فناسب ذكر التذييل {إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾} عقِب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته، فناسب ذكر التذييل { إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ } عقِب أوصافه سبحانه وتعالى[٣].

وفرَّق أبو حيان بين الختمين بأنه هنا لما تقدم قوله تعالى: {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا} [إبراهيم: ٢٨]، وبعده قوله تعالى: { وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا } [إبراهيم: ٣٠]، فكان ذلك نصًّا

(١) هو أحمد بن مُحَمَّد بن منصور، المعروف بناصر الدين ابن المنيّر الجروي الجذامي الإسكندراني المالكي، كان إمامًا بارعًا في الفقه، وله اليد الطولى في علم النظر والبلاغة والإنشاء وعلم التفسير والقراءات، وكان علَّامة الإسكندرية، توفي سنة (٦٨٣هـ). انظر: الداوودي، مُحَمَّد بن علي بن أحمد، شمس الدين، «**طبقات المفسرين**»، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، ج١، ص٨٩. ويوجد جزء من هذا التفسير بدار الكتب المصرية بالقاهرة (٨٣٢-٨٣٣ تفسير). واعترض عليه أصحابه في هذه التسمية بأن البحر الكبير مالح، إلا أنه أجابهم بأن البحر محل العجائب والدرر. ينظر: الداوودي، «**طبقات المفسرين**»، ج١، ص٩١.

(٢) الزركشي، «**البرهان في علوم القرآن**» **ج١، ص٨٦**.

(٣) ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على ما فعلوا من القبائح من الظلم والكفران، ناسب أن يختم بذم من وقع ذلك منه فختمت الآية بقوله سبحانه: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}. وأما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات وأطنب فيها وقال جل شأنه: {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [النحل: ١٧] أي: من أوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر على الخلق، ذكر من تفضلاته تعالى اتصافه بالغفران والرحمة تحريضًا على الرجوع إليه سبحانه، وأن هاتين الصفتين هو جل وعلا متصف بهما كما هو متصف بالخلق، ففي ذلك إطماع لمن آمن به تعالى، وانتقل من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق تبارك وتعالى أنه يغفر زلاته السابقة ويرحمه. وأيضًا فإنه لما ذكر أنه تعالى هو المتفضل بالنعم على الإنسان ذكر ما حصل من المنعم ومن جنس المنعم عليه، فحصل من المنعم ما يناسب حالة عطائه وهو الغفران والرحمة؛ إذ لولاهما لما أنعم عليه، وحصل من جنس المنعم عليه ما يناسب حالة الإنعام عليه ويقع معها في الجملة، وهو الظلم والكفران، فكأنه قيل: إنْ صدر من الإنسان ظلم فالله تعالى غفور، أو كفران فالله تعالى رحيم؛ لعلمه بعجز الإنسان وقصوره(١).

وقال البقاعي عند تفسيره سورة إبراهيم: "ولما كان أكثر هذه السورة في بيان الكفرة وما لهم، وبيان أن أكثر الخلق هالك معرض عما يأتيه من نعمة الهداية على أيدي الرسل الدعاة إلى من له جميع النعم للحياة الطيبة بسعادة الدارين، ختم الآية ببيان ما اقتضى ذلك من صفات الإنسان، فقال: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ} أي: هذا النوع لما له من الأنس بنفسه، والنسيان لما ينفعه ويضره، والاضطراب بسبب ما يغمه ويسره {لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} أي: بليغ الظلم والكفر حيث يهمل الشكر، ويتعداه إلى الكفر. وختم مثل ذلك في سورة النحل بـ{لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}؛ لأن تلك سورة النعم، بدئت بالنهي عن استعجال العذاب؛ لأن الرحمة أسبق، ومن الرحمة إمهال الناس وإمتاعهم بالمنافع، فالتقدير إذن هناك: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} ولكن ربه لا يعاجله بالعقوبة لأنه غفور رحيم. وأما هذه السورة

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، «**تفسير البحر المحيط**»، ج٥، ص٣٤٩.

فبدئت بأن الناس في الظلمات"[١].

يتبين مما سبق أن سورة إبراهيم قد أطنبت في ذكر النعم وذكر تفضلاته سبحانه وتعالى على عباده، ودعته السورة إلى شكر الله تعالى، ولكن الإنسان لظلمه قد يقصِّر في شكر النعمة، ويتبطر عليها، ولذا جاءت آية النحل تذكر طرفًا آخر من تفضلاته سبحانه على عباده، وهو الغفران والرحمة لمن ظلم وتبطر على نعم الله، فالله تعالى غفور لمن صدر منه الظلم، ورحيم لمن صدر منه كفران، وفي هذا من الترغيب والتحريض على الرجوع إلى الله تعالى وعبادته وحده، ولذا جاء التذييل في آية سورة إبراهيم {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾} من باب التعليل لتقصيره في شكر النعمة، فهو يقصر في شكر النعمة لظلمه وكفره، وأما تذييل آية النحل بـ{إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾}، فجاءت من باب الترغيب للرجوع إلى الله تعالى، وفي ذلك أيضًا تقرير لمضمون الآيات التي سبقت هذا التذييل، فمن يسوق الأدلة الكثيرة الدالة على ألوهيته، الناطقة بربوبيته، ما هو إلا غفور رحيم، يسوق لهم الأدلة ليتوبوا فيغفر لهم ويرحمهم سبحانه.

وأما دلالة التذييلين: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾} {إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾} على مقصد سورتي إبراهيم والنحل، ومقصد القرآن الكريم فتظهر كما يأتي:

مقصد سورة إبراهيم: بيان وظيفة الرسل وحرصهم على إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، في مقابل إعراض أقوامهم؛ تثبيتًا للنبي ﷺ وتوعدًا للظالمين، وقد تضمَّنت إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل وبالبعث والجزاء، وإقرار التَّوحيد، والتّعريف بالإله الحقِّ خالق السَّماوات والأرض، وبيان الهدف من إنزال القرآن الكريم، وهو إخراج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور، واتحاد مهمَّة الرُّسل ودعوتهم في أصول الاعتقاد والفضائل وعبادة الله والإنقاذ من الضَّلال، وذم الكافرين ووعيدهم على كفرهم وتهديدهم

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، «**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**»، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، (١٤١٥هـ -١٩٩٥م)، ج٤، ص١٨٩.

بالعذاب الشَّديد[١].

مقصد سورة النحل: التذكير بالنعم الدالة على المنعم، إلزامًا بعبوديته وتحذيرًا من جحود نعمته. وقد تضمنت هذه السورة الكلام على أصول العقيدة وهي الألوهية والوحدانية، والبعث والحشر والنشور، وأوضحت السورة نعم الله تعالى الكثيرة المتتابعة، وذكَّرت الناس بنتيجة الكفر بها، وعدم القيام بشكرها[٢].

وهنا تظهر المناسبة جلية بين دلالة التذييلَيْن وبين مقصد السورتين، حيث أطنبت سورة إبراهيم في ذكر النعم و ذكر تفضلاته سبحانه وتعالى على عباده، ودعتهم السورة إلى شكر الله تعالى، ولكن الإنسان لظلمه قد يقصر في شكر النعمة. وجاءت آية النحل تذكر طرفًا آخر من تفضلاته سبحانه على عباده وهو الغفران والرحمة لمن ظلم وتبطر على نعم الله، وهذا في غاية المناسبة لمقصد السورتين اللتين تضمَّنتا إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل وبالبعث والجزاء، وإقرار التوحيد، والتعريف بالإله الحق خالق السماوات والأرض، وبيان الهدف من إنزال القرآن الكريم، وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبذلك يحقق الصلاح الفردي ورأسه صلاح الاعتقاد، وكأن التذييلَيْن السابقين أصبحا شعارًا ورمزًا لدلالات متعددة، فهما من جهة رمز للشرك وكفران النعمة، وهما بذلك النموذج السلبي للمقصد الذي تركز عليه السورتان، نموذج مَن يُعرض عن التوحيد ومَن يعطيه ربه النعم فيكفرها، ومن جهة أخرى رمز وشعار للمؤمنين ليحذروا من التشبُّه بهؤلاء الكفار في كفرهم لِنعم المولى سبحانه وإعراضهم عن التوحيد، وبذلك فإن هذين التذييلَيْن يفسران واقع الصراع الدائم والمفارقة البعيدة بين أهل الإيمان وأهل الشرك حيال موقفهم من نِعم الله تعالى ومن توحيده سبحانه، لنخلص من ذلك كله إلى أن سورتي إبراهيم والنحل هما سورتا توحيد الربوبية.

(١) ينظر: جماعة من علماء التفسير، «**المختصر في تفسير القرآن الكريم**»، ص٢٥٥. والزحيلي، «**التفسير المنير**»، ج١٣، ص١٩٨.

(٢) المرجعان السابقان، الأول منهما، ص٢٦٧، والآخر، ج١٤، ٨٠-٨١.

وهكذا يتحقق المقصد الأعلى العام من القرآن الكريم وهو هداية الأمة وتنزيهها، وتحقيق الصلاح على المستوى الفردي والجماعي والعمراني[1]، وبذلك لم يَهْدِ التذييلان: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾} {إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾} إلى مقصد سورتي إبراهيم والنحل ويدلان عليه فحسب، بل إنهما حقَّقا كذلك مقاصد القرآن المكي العامة من الإصلاح الفردي -ورأسه صلاح الاعتقاد- والجماعي.

المطلب الثالث: اتفاق التذييل في موضع واحد، والمتحدث عنه مختلف:

ومثال ذلك قوله تعالى في تنظيم طريقة الاستئذان في داخل البيوت للإماء والأطفال ومَن بلغوا الحُلُم: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾} [النور: ٥٨، ٥٩].

سبق أن بين الله تعالى في هذه السورة أحكام استئذان الأجانب بعضهم على بعض، وهنا يبين الله تعالى أحكام استئذان الأقارب بعضهم على بعض في داخل البيوت؛ فالخدم من الرقيق والأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بلا استئذان، إلا في ثلاثة أوقات تنكشف فيها العورات عادة فهم يستأذنون فيها، وهي: من قبل صلاة الفجر لأنه وقت النوم في الفراش واليقظة من المضاجع وتغيير ثياب النوم وارتداء ثياب اليقظة، ويحتمل انكشاف العورة، وحين تخلعون ثياب العمل وتستعدون للنوم وقت الظهيرة أو وقت القيلولة؛ لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت خلع ثياب اليقظة، ولبس ثياب النوم. وسماها (عورات) لانكشاف العورات فيها. وفي هذه الأوقات الثلاثة لا بدَّ أن يستأذن الخدم، ويستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم،

(٢) ينظر مقاصد القرآن العامة في: ابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ١/٣٨، ٣٩.

فكان من القبيح أن يرى مماليكهم وأطفالهم عوراتهم؛ لأن ذلك منظر يخجل منه المملوك وينطبع في نفس الطفل لأنه لم يعتد رؤيته، ولأنه يجب أن ينشأ الأطفال على ستر العورة حتى يكون ذلك كالسجية فيهم إذا كبروا، والعليم الحكيم يريد أن يؤدب المؤمنين بهذه الآداب؛ لتكون أمة سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب(١).

إن المتدبّر لهاتين الآيتين الكريمتين لا بدَّ أن يتساءل عن سرِّ تذييلهما بـ{عَلِيمٌ حَكِيمٌ}، وعن سرِّ تقديم {عَلِيمٌ} على {حَكِيمٌ}. ثم ما سرُّ اتفاق التذييلين في الآيتين، مع أن المتحدّث عنهما مختلف؟

لعلَّ سرَّ التعقيب بهذا التذييل في الآيتين هو أنَّ المقام مقام علم الله بنفوس البشر وما يصلحها من الآداب، ومقام حكمته كذلك في علاج النفوس والقلوب، والله {عَلِيمٌ} مبالغٌ في العلم بجميع المعلوماتِ فيعلم أحوالَكم {حَكِيمٌ} في جميع أفاعيلِه فيشرع لكُم ما فيه صلاحُ أمرِكم معاشًا ومعادًا"(٢)، فلما كان السياق يتحدَّث عن علم الله بنفوس البشر وأحوالهم وما يصلح أمرهم ذيل الآية بـ{عَلِيمٌ}. ثم إن الله تعالى بناء على علمه بأحوال البشر ونفوسهم يشرع لهم ما فيه صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، ولا يكون ذلك إلا من حكيم يقدر على وضع الأمور في مكانها الصحيح، ويحسن تدبير أمور خلقه بما يحقق لهم السعادة معاشًا ومعادًا، ولذا جاء هذا التذييل بـ{عَلِيمٌ حَكِيمٌ} تعليلًا للأمر السابق، ولتأكيد وجوب الامتثال، فالله عز وجل هو البالغ في العلم والحكمة، فيعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم، ولا ينهاهم إلا عما فيه مفسدتهم، ولا يحكم بينهم إلا بما تقتضيه الحكمة.

وأما سرُّ تقديم {عَلِيمٌ} على {حَكِيمٌ}؛ فلأن من مقتضيات الحكمة أن يسبقها العلم، فمن يشرع لعباده ما فيه صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، لا بدَّ قبل ذلك أن يكون

(١) ينظر: الزحيلي، «**التفسير المنير**»، ج١٨، ص٢٩٢. وقطب، سيد إبراهيم، «**في ظلال القرآن**»، (القاهرة: دار الشروق، د. ط، د. ت)، ج٤، ص٢٥٣٢. وابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج١٨، ص٢٩٢.

(٢) أبو السعود، «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**»، ج٥، ص٧٣.

عالمِا بنفوسهم وأحوالهم، وإلا شرع لهم ما يوقعهم في الشقاء والتعاسة، فهو سبحانه حكيم لأنه عليم، فالعلم سبب يؤدي إلى الحكمة في تدبير الأمور، لهذا كله ذُيِّلت الآيتين بـ{عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

وأما عن سرِّ اتفاق التذييلين في الآيتين، مع أن المتحدّث عنهما مختلف، فلعلَّ ذلك يعود إلى أنَّ الآيتين في موضوع واحد وهو استئذان الأقارب بعضهم على بعض في داخل البيوت؛ لكن الآية الأولى: خاصة بالإماء والأطفال الذين لم يبلغوا الحُلم، والثانية: في الذين بلغوا الحُلُم، فاختلف الحال في كل آية، لكن التذييلين فيهما جاءا متحدين؛ لتشابه الآيتين في الهدف والغاية، وهو بيان آداب استئذان الأقارب بعضهم على بعض في داخل البيوت، وذلك لما فيه صلاح أمرهم معاشًا ومعادًا، وكما اتحدا في الهدف والغاية اتحدا في التذييل.

وأما دلالة التذييل {وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} على مقصد سورة النور ومقصد القرآن الكريم فتظهر كما يأتي:

مقصد سورة النور: التركيز على قضية العفاف والستر وصفاء المجتمع المسلم وتحصينه من أسباب الفاحشة، وكيد المنافقين في نشرها(١).

وهنا تظهر المناسبة جليَّة بين دلالة التذييل وبين مقصد السورة، حيث تضمَّنت سورة النور تنظيم الحياة الاجتماعية للناس ببيان الآداب والفضائل، وتشريع الأحكام والقواعد المهمة التي تتعلق بالأسرة؛ من أجل بنائها على أرسخ الدعائم، وصونها من المخاطر والعواصف، والتركيز على تماسكها وتنظيمها، وحمايتها من الانهيار والدمار(٢)، فما شرعه الله تعالى من هذه الأحكام ما هي إلا لمصالح عباده وهو سبحانه عليم بها، حكيم بما دبره لهم وشرع من هذه الأحكام.

وبذلك يحقق الصلاح الفردي ورأسه صلاح الاعتقاد؛ وذلك بتهذيب النفس

(١) ينظر: جماعة من علماء التفسير، «**المختصر في تفسير القرآن الكريم**»، ص٣٥٠. والزحيلي، «**التفسير المنير**»، ج١٨، ص١٤١.

(١) ينظر: الزحيلي، «**التفسير المنير**»، ج١٨، ص١١٩.

وتزكيتها وتربيتها على الالتزام بهذه الآداب والفضائل، وكأن التذييل السابق أصبح شعارًا ورمزًا لقضية العفاف والستر وصفاء المجتمع وتحصينه من أسباب الفاحشة، ففي تشريعه سبحانه لأحكام استئذان الأقارب بعضهم على بعض في الآيتين السابقتين (٥٨-٥٩) وقاية قبل وقوع الفاحشة، وبهذا يتحقق المقصد الأعلى العام من القرآن الكريم؛ وهو هداية الأمة وتنزيهها، وتحقيق الصلاح على المستوى الفردي والجماعي والعمراني، وبذلك لم يَهْدِ التذييل {وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} إلى مقصد سورة النور ويدل عليه فحسب؛ بل إنه حقق كذلك مقاصد القرآن المدني الأصلية[١] التي جاء القرآن لبيانها من تهذيب الأخلاق وبيان الآداب والفضائل المتعلقة بالاستئذان، وتشريع الأحكام المناسبة له التي تصون الأسرة والمجتمع من المخاطر، وتعمل على تماسكه وحمايته من الانهيار.

المطلب الرابع: التذييل المشكل:

حقُّ الجملة التذييلية أن تكون ممكنة للمعنى المسوق له الكلام، وأن تؤكّد الغرض المقصود من الآية، بأن تأتي في مكانها، مستقرة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقًا معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًّا، بحيث يفتقر الكلام إليها[٢].

وقد سبق معنا من هذه الجمل التذييلية الكثير الذي يثبت ذلك، لكننا أحيانًا حينما نقرأ بعض الجمل التذييلية في بعض الآيات، نجدها في ائتلافها مع ما قبلها -مع بقائها على هذا الوضع- تحتاج إلى تدقيق في التفكير وإلى بحث ونظر لنتبين وجه ملاءمتها للآية، والأمثلة على ذلك متعددة، نكتفي بمثالٍ واحد، والمتدبر في آيات الله لا بد أن يلحظ الكثير من ذلك، ويقف على سر التعبير بذلك. قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام مقالته

(١) ينظر: ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر التونسي، «**مقاصد الشريعة الإسلامية**»، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب ابن الخوجة، (قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، د. ط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ج٣، ص١٩٤. وحامدي، عبد الكريم، «**مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**»، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٢٩.

(١) ينظر: الزركشي، «**البرهان في علوم القرآن**»، ج١، ص٧٩. والسيوطي، «**الإتقان في علوم القرآن**»، ج٢، ص٢٧٠.

في قومه حينما ادَّعَوا عليه أنه قال لهم: {ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴿١١٦﴾} [المائدة: ١١٦]، فقال عيسى عليه السلام: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} [المائدة: ١١٨]، فإنَّ قوله: {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴿١١٨﴾} يوهم أن التذييل هو {الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }، وقد نقل هذا عن مصحف أبيّ[(١)] رضي الله عنه وبها قرأ ابن شنَّبوذ[(٢)]، ولكن إذا أُنعم النظر ودقق في الكلام، تبيَّن أن التذييل يجب أن يكون على ما هو عليه في التلاوة، ولا يغني غيره غناءه في سياقه؛ وبيان ذلك كما يأتي:

– لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا مَن ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه وهذا هو العزيز؛ لأن العزيز من صفات الله تعالى هو الغالب الممتنع على من يريده بالقهر والغلبة، فالبارئ سبحانه أغلب الغالبين، ولا يغلبه غالب، ثم وجب أن يوصف بالحكيم؛ لأن الحكيم مَن يضع الشيء في محله، والله تعالى كذلك، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بـ{الْحَكِيمُ } احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا مُعْتَرَض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته[(٣)].

(٢) قال النيسابوري في «**غرائب القرآن**»: "وفي مصحف عبد الله بن مسعود: {فإنك أنت الغفور الرحيم} وضعَّفه العلماء؛ لأن ذلك يشعر بكونه شفيعًا لهم لا على تفويض الأمر بالكلية إلى حكمه تعالى، والمقام هذا لا ذاك"، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن مُحَمَّد بن حسين القمي، «**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**»، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م)، ج٣، ص٤١. ولم يذكر ابن أبي داود في كتابه «**المصاحف**» هذه القراءة. ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، «**كتاب المصاحف**»، تحقيق: مُحَمَّد ابن عبده، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص١٧٦.

(٥١) هو مُحَمَّد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ البغدادي، شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، وكان ثقة في نفسه، صالحًا دينًا، متبحرًا في هذا الشأن، توفي ابن شنبوذ سنة (٣٢٨هـ). انظر: الذهبي: مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان، «**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**»، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناءوط، صالح مهدي عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ)، ج١، ص٢٧٦، ٢٧٧.

(٣) ينظر: الزركشي، «**البرهان في علوم القرآن**»، ج١، ص٨٩. والسمين الحلبي، «**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**»، ج٣، ص٦٧.

– بيَّن ابن جزي وابن الزبير والقرطبي وغيرهم مناسبة قوله: {فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }، لقوله: {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ } وذكروا أن الأليق مع ذكر المغفرة في هذا المقام هو قوله: {فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ } وليس: (فإنك أنت الغفور الرحيم)، فليس المقام مقام رحمة ومغفرة، وآية المائدة مبنية على التسليم لله سبحانه وأنه المالك للكل يفعل فيهم ما يشاء، فلو ورد هنا عقب آية المائدة: (وإن تغفر لهم فأنت الغفور الرحيم) لكان تعريضًا بطلب المغفرة ولأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، وذلك مستحيل، ولم يقصد ذلك بالآية، وإنما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام تبريًا وتسليمًا لله سبحانه، وليس الموضع موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تنصل من حالهم وتسليم لله فيهم، فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أراده، فاقتضى الكلام تفويض عيسى عليه السلام الأمر إلى الله في المغفرة للمشركين من النصارى أو عدم المغفرة لهم؛ لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته، وأيهما فعل فهو جميل لحكمته، والكلام لتسليم الأمرين والحكمة تقتضيهما وكأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزك ولا تخرج عن حكمتك[1].

– إنَّ الذي استحق عذاب الله تعالى لا يستطيع أن يغفر له إلا صاحب السلطة العليا والقوى العظمى، وإلا مَن كانت عزته فوق كل عزة، ومن كان كذلك وجب أن يكون متصفًا بالحكمة التي يساندها المنطق السليم، فهو سبحانه حكيم؛ لأنه عزيز، وعليه فإذا اجتمعت العزة والحكمة، فحريٌّ أن تقدم العزة؛ لأن الحكمة التي يسندها العدل والعقل

(١) ابن جزي، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، «**التسهيل لعلوم التنزيل**»، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ)، ج١، ص٢٥٢. وابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، «**ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**»، وضع حواشيه: عبد الغني مُحَمَّد علي الفاسي، (بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، ج١، ص١٣٨. والقرطبي، أبو عبد الله، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، «**الجامع لأحكام القرآن**»، تحقيق: سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، د. ط، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣ م)، ج٦، ص٣٧٨.

والسلوك المستقيم، لن تكون لها نتائجها وثمارها إلا إن كانت منبتة على العزة والقوة، فكيف يكون حكيمًا من كان مكتسيًا بثوب الذلّ والصَّغار، ولذا قدَّم وصف {ٱلۡعَزِيزُ} على {ٱلۡحَكِيمُ} وإذا جاء التذييل بالعزَّة مقترنًا بالحكمة؛ فلأن القادر على العقاب عزيز دائمًا، وليس كل عزيز عادلًا، لكنَّ الله سبحانه وتعالى عزيز قوي غالب حكيم عادل، ولذا جاء هذا التذييل بـ{ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} تقرير لمضمون الآية، فمن يعذب ويغفر لا بدَّ أن يكون عزيزًا قاهرًا، ثم هو حكيم؛ لأنه لا يعذب إلا من استحق العذاب.

إذن فبالتدقيق والتدبر وإنعام النظر والتأمل في المعنى المراد والغَرض المقصود من الآيات، يزول الإشكال عن هذا التذييل المشكل؛ ليتبين أنه لا يقدر على فعل ما قبل التذييل من المغفرة للمشركين من النصارى أو عدم المغفرة لهم إلا من يمتلك كامل العزة، وعظيم القدرة، والبالغ في استعمالها أقصى الحكمة، فلما كان المراد هذا المعنى كان التذييل بـ{ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} هو المناسب لختام الآية والأليق للمقام والأنسب لتحقيق مقصود الآية، فلا يغني غيره غناءه.

ونظير هذه الآية نجد آيات كثيرة مثلها، ختمت بتذييل يبدو لأول وهلة ودون تدبر عدم ملاءمته لما قبله؛ لكن عند التدبر والتدقيق ترى من السر في هذا التذييل ما يجعلك توقن بأن هذا الكلام من عند الله تعالى، وأن كل لفظة فيه لا يغني غيرها غناءها في سياقها(١).

وأما دلالة التذييل {فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} **على مقصد سورة المائدة ومقصد القرآن الكريم، فتظهر كما يأتي:**

(١) ينظر مثلًا قوله تعالى: {رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾} [غافر: ٨]، ومثلها قوله تعالى: {وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾} [التوبة: ٧١].

مقصد سورة المائدة: الوفاء بالعقود والتزام الشرائع والحدود وإكمال الدين، وأن دين الله واحد وإنِ اختلفت شرائع الأنبياء ومناهجهم، وقد احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة تنبئ بأنها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام(١).

وهنا تظهر المناسبة جليَّة بين دلالة التذييل وبين مقصد السورة، فهو هاد إليه ودال عليه، حيث انفردت سورة المائدة ببيان أصول مهمة في الإسلام ومنها: إكمال الدين، وبيان عموم بعثة النبي صلَّى الله عليه وسلم، وأوجب الله فيها على المؤمنين إصلاح نفوسهم، وطريق الإصلاح الوفاء بالعقود، وتحريم الاعتداء على الآخرين، والتعاون على البرِّ والتقوى وتحريم التعاون على الإثم والعدوان، وتحريم موالاة الكفار، ووجوب الشهادة بالعدل، والحكم بالقسط والمساواة بين المسلمين وغيرهم.

وقد جاء التذييل في سياقٍ يتوعد الله تعالى فيه الكفار على إصرارهم على كفرهم وعنادهم بعد قيام الحجة الواضحة عليهم، وجاء في خطابٍ غَلَبت عليه معاني القوة من خلال دلالات ألفاظه ذات الجرس الصوتي القوي المهددة بالعذاب، فناسب هذا السياق الشديد القوي بألفاظه استعمال التذييل {ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } الموحي بالقوة والغلبة دون التذييل {ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ } فلا يقدر على فعل ما قبل التذييل، وهو إلحاق العذاب بالمشركين من النصارى المعاندين إلا مَن يتَّمتع بكامل العزَّة وعظيم القدرة والبالغ في استعمالها أقصى الحكمة، فلما كان المراد هذا المعنى كان التذييل بـ{ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } هو المناسب لختام الآية، بحيث لا يغني غيرُه غناءَه تذييلًا للآية.

وهذا في غاية المناسبة لمقصد سورة المائدة الذي عرضناه آنفًا، وكأن التذييل {ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } أصبح شعارًا يرمز إلى دلالات متعددة، فهو من جهة رمز للكفار المعاندين، وهو بذلك يمثّل النموذج السلبي للمقصد الذي تركز عليه السورة من الوفاء بالعقود وإتمام العهود

(٢) ينظر: جماعة من علماء التفسير، «**المختصر في تفسير القرآن الكريم**»، ص١٠٦. والزحيلي، «**التفسير المنير**»، ج٦، ص٦٢. وابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج٦، ص٧٢.

الموثقة بين الخلق وخالقهم من الإيمان به سبحانه، والتزام الشرائع والحدود، نموذج الكفار الذين سألوا عيسى المائدة من السماء فاستجاب الله دعاء عيسى ونزّلها عليهم فكفروا، ومَن يدَّعي على أنبيائه ما لم يقولوه كما ادّعوا على عيسى بأنه أبلغهم أنه الله أو أنه ابن الله. ومن جهة أخرى فهي رمز وشعار للمؤمنين؛ ليحذروا من التشبُّه بالكفار في كفرهم وعنادهم، ويوفوا بعقودهم التي بينهم وبين خالقهم وبينهم وبين الناس والتزام حدوده وشرائعه.

جمعت سورة المائدة المدنيَّة من مقاصد القرآن المكي: الدعوة إلى وحدانية الله تعالى بالإضافة إلى مقاصد القرآن المدني من بيان أحكام التشريع، ولم تكتف سورة المائدة بالدعوة إلى تحقيق الإصلاح الفردي بإصلاح الاعتقاد؛ بل بيَّنت أحكام التشريع من الوفاء بالعقود والتزام الشرائع والحدود، وأحاطتها بسياج عقدي بالأمر بتقوى الله تعالى، وبذلك يحقق الصلاح الفردي ورأسه صلاح الاعتقاد.

وبذلك لم يهد التذييل {ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} إلى مقصد سورة المائدة ويدل عليه فحسب؛ بل إنه دلَّ على مقاصد القرآن العامة من الإصلاح العقدي وبيان أحكام التشريع.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

– ليس التذييل القرآني مجرد توافق ألفاظ وأوزان؛ بل له قيمته في إتمام معنى الآية وبيانه وتوضيح الصورة، ولذا فهو من الإطناب المحمود، فقد يأتي التذييل القرآني مؤكدًا لما قبله من الآية، أو مقررًا له، أو معللًا له، أو يكون فذلكة وتلخيصًا لما قبله، فالتذييل القرآني مرتبط تمام الارتباط بالآية، وله أثره البالغ قدره في نظام الكلام، والتذييل يتناسب مع الجملة السابقة عليه تناسبًا راقيًا يجعل السابق يمهد للاحق واللاحق يؤكد على السابق في تناغمٍ واتساقٍ، ولهذا جاء التذييل القرآني مستقرًّا في مكانه، متمكنًا دلاليًّا في سياقه، ولو استبدل به غيره لتبدل المعنى ولما تحقق المعنى المراد من الآية والغرض المقصود منها، ولذلك فلا يغني غيرُه غناءَه في سياقه.

– التذييل القرآني شكَّل دلالات رمزية تؤدي بدورها وظيفتين: وظيفة مترجِمة وكاشفة عن مقاصد القرآن وسوره، ووظيفة انفعالية تستثير نفسية السامع وتستحوذ عليه.

– التذييل القرآني على ضربين: ضرب يحتوي على أسماء الله وصفاته مثل: (خبير، عليم، حكيم، سميع، توَّاب ...)، فيأتي التذييل بأسماء الله وصفاته حثًّا للعباد على مضمون الآية الأساسي الذي جاء هذا التذييل يشير إليه صراحة. وضرب ليس كذلك مثل: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [إبراهيم:٣٤]، {وَلَٰكِنَّ لَا يَشْعُرُونَ }...، وغير ذلك مما مرَّ معنا مما هو تعليل لما قبله وتأكيد له، إلى غير ذلك من أغراض التذييل القرآني.

– غِنى الآيات القرآنية بالتذييل، واشتماله على حكم وأسرار تستأهل الدراسة وتغري بالبحث.

– قيمة التذييل البلاغية ودلالته على عظمة القرآن وبيانه، بما لا يدع مجالًا للشك عند منصف في كون القرآن كلام الله رب العالمين.

ثانيًا: التوصيات:

١– مواصلة رَصْد ظاهرة التمكن الدلالي للتذييل القرآني ودلالته على مقاصد القرآن وسوره.

– الدعوة إلى تجديد قراءتنا للقرآن الكريم بما يحقق تدبره وتثويره، وبما يعمل على التصدي لمشاريع الطاعنين فيه.

المراجع والمصادر

- الإسكافي، مُحَمَّد بن عبد الله الأصبهاني، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تحقيق: مُحَمَّد مصطفى آيدين، (الطبعة الأولى)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي، (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن جزي، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، (١٤١٦هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (الطبعة الأولى)، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- جماعة من علماء التفسير، (١٤٣٦هـ)، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (الطبعة الثالثة)، الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، (١٤٠٤هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، (الطبعة الثالثة)، بيروت: المكتب الإسلامي.
- حامدي، عبد الكريم، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار ابن حزم.
- الحسناوي، مُحَمَّد، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، **الفاصلة في القرآن**، (الطبعة الثانية)، بيروت: المكتب الإسلامي- دار عمار.
- أبو حيان الأندلسي، مُحَمَّد بن يوسف، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الخضري، مُحَمَّد الأمين، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، **من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية**، (د. ط)، د. م: د. ن.

- الخطابي، حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم البستي، (١٩٧٦م)، **بيان إعجاز القرآن**، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب (١٦)، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله، مُحَمَّد زغلول، (الطبعة الثالثة)، مصر: دار المعارف.
- ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، **كتاب المصاحف**، تحقيق: مُحَمَّد بن عبده، (الطبعة الأولى)، القاهرة: الفاروق الحديثة.
- الداوودي، مُحَمَّد بن علي بن أحمد، شمس الدين، (د. ت)، **طبقات المفسرين**، (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الذهبي: مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (١٤٠٤هـ)، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح عباس، (الطبعة الأولى)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين عمر، (د. ت)، **التفسير الكبير** "مفاتيح الغيب"، (د. ط)، بيروت- لبنان: دار الفكر.
- الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، (١٩٧٦م)، **النكت في إعجاز القرآن**، المحقق: مُحَمَّد خلف الله، د. مُحَمَّد زغلول سلام، (الطبعة الثالثة)، مصر: دار المعارف.
- زبادي، توفيق بن علي مراد، (١٤٣٩هـ-٢٠١٧م)، **أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها، دراسة تطبيقية على سورة مريم**، (عدد ٣)، السعودية: مجلة تدبُّر.
- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، (د. ت)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، وضع حواشيه: عبد الغني مُحَمَّد علي الفاسي، (د. ط)، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤١٨هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (الطبعة الثانية)، دمشق: دار الفكر المعاصر.

- الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرين، (الطبعة الثانية)، بيروت: دار المعرفة.
- أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السهيلي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، (د. ت)، **نتاج الفكر في النحو**، تحقيق: مُحَمَّد البنا، (د. ط)، الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع.
- السيوطي، جلال الدين، (د. ت)، **الإتقان في علوم القرآن**، (د. ط)، بيروت: عالم الكتب.
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر التونسي، (١٩٩٧م)، **التحرير والتنوير**، (د. ط)، تونس: دار سحنون.
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر التونسي، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب ابن الخوجة، (د. ط)، قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
- عباس، فضل حسن وسناء فضل، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، **إعجاز القرآن الكريم**، (الطبعة الرابعة)، عمان: دار الفرقان.
- الفيومي، أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقري، (د. ت)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (د. ط)، بيروت: المكتبة العصرية.
- القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سمير البخاري، (د. ط)،

الرياض: دار عالم الكتب.

- قطب، سيد إبراهيم، (د. ت)، **في ظلال القرآن**، (د. ط)، القاهرة: دار الشروق.
- لاشين، عبد الفتاح، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، **البديع في ضوء أساليب القرآن**، (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار الفكر العربي.
- المطيري، عبد المحسن بن زبن، (د. ت)، **علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم**، (د. ط)، الكويت: جامعة الكويت.
- ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم، (د. ت)، **لسان العرب**، (د. ط)، القاهرة: دار المعارف.

- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن مُحَمَّد بن حسين القمي، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، (الطبعة الأولى)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.